٤٧

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز مدارس التلمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

ثنائية مقارنة أهل الخير ومباينة أهل الشر عند الإمام علي عليه السلام



سماحة
السيد محمد صادق الخرسان

محاور المحاضرة:

- المقدمة
- أهمية الاقتران بأهل الخير والصلاح
- التحوّل من حال إلى حال
- شمولية مفهوم الخير وتطبيقاته المعاصرة
- تأثير البيئة والمحيط على الإنسان
- مواجهة الإحباط بالثبات على المبدأ وعدم الانحراف
- الأوبئة الفكرية ووجوب الحذر من مضارها
- الأثر الوضعي وضرورة التوقّي منه
- أهمية حُسن اختيار الصديق
- أهمية الحرص على الوقت في انجاز العمل
- اختيار مصاحبة مَنْ يزين ولا يشين
- تبعات مصاحبة أهل الشر
- كثرة الإنجازات لا تدل على الاستقامة
- الاطلاع على فكر الآخر مع الحذر من التلوث

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

خير ما نستنير به وننتفع منه في مسيرتنا العلمية والعملية أن نأخذ بالمأثور عن مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)؛ إذ يُروى عنه في وصيته لولده الإمام الحسن الزكي المجتبى (سلام الله عليهما) قوله: ((قَارِن أهل الخير تكن منهم، وبَايِن أهل الشر تبِن عنهم))[1].

الإمام (عليه السلام) يُقدّم في هذه الثنائية ما يمكن أن يكون برنامج عمل لكل إنسان، ولكن طالب العلم بخاصة يحتاج إلى استحضار هذه الثنائية أكثر من غيره؛ لأنه يُتوقع منه مزيدًا من الانضباط والالتزام والتأسي بالمعصومين (عليهم السلام)؛ لينقل إلى عامة الناس ما يستفيده من دروسه العلمية في حوزة النجف الأشرف، وما يستفيده من السيرة العملية لأهل العلم والتقوى؛ وبهذا نستطيع أن نرشِّد سلوكيات الناس في المجتمع من خلال سلوك بعض أفراده، أعني أهل العلم والتقوى.

وفي هذه الوصية قد عَرَضَ أمير المؤمنين (عليه السلام) لثنائية أهل الخير وأهل الشر، كما عَرَضَ لثنائية الاقتراب من أهل الخير والافتراق عن أهل الشر.

[1] - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ٩٩.

أهمية الاقتران بأهل الخير والصلاح

ومن المهم أن تكون علاقات الإنسان الخاصة أو العامة ضمن هذه الثنائية التي بيّنها أمير المؤمنين سلام الله عليه. حيث نعتقد أنه أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو أعرف بما يُصلح العباد ويُعينهم على الاقتراب من الله سبحانه وتعالى بالطاعة واجتناب المعصية.

وهذه الثنائية كانت وما زالت وتبقى مهمة جداً؛ فإن الإنسان أحياناً يصاحب أحداً من أهل الصلاح فيكون قريناً له ويُسعد بهذا الاقتراب؛ لأنه ستنفتح له آفاق جديدة في الحياة ينتفع منها، وهذا ما يحدث كثيراً؛ إذ يؤثّر بعض الطلبة الأعزاء في أصدقائه بحُسن تصرّفه معهم فيجذبهم بأخلاقه، أو بالنظر إلى صلاح حاله، وآثار تعلّم علوم محمد وآل محمد (عليهم السلام)؛ فيرى الأصدقاء أنه قد ازداد علماً وتواضعاً، فيختار بعضهم طريق التعلّم بسبب ذلك، وهذه فائدة مهمة للفرد والمجتمع حصلت بمقارنة أهل الخير، وحُسن اختيار الأصدقاء.

وقد يستفيد المتقرب إلى أهل الخير في مساحات دنيوية مباحة، بأن يشاركهم عملًا فينتفع منه أموالًا، أو وجاهة اجتماعية أو غير ذلك، أي إن الإنسان إذا اجتمع مع أهل الخير يصير واحدا منهم.

التحوّل من حال إلى حال

قد لا يكون الإنسان من أهل الصلاح؛ لضعف إرادته أو لسوء بيئته التي نشأ فيها، ولكنه بمقارنته أهل الخير يتحوّل إلى كونه واحدًا منهم، فيكون هذا التحّول سبباً لنجاته.

إن الإمام (عليه السلام) يريد تأكيد حقيقة أن الإنسان يستطيع تحسين أدائه، فيتحوّل من حالة إلى حالة فضلى؛ إذا ما قَارَن أهل الخير واقترب منهم.

وفي المقابل يوجد تحول معاكس؛ بأن يتأثّر الإنسان سلباً ببيئته داخل البيت أو خارجه، في هذا العالم الواقعي، بل وحتى في العالم الافتراضي؛ فإن من الواضح تأثر الناس بما ينشر في العالم الافتراضي ووسائل التواصل؛ فقد يتأثّر الإنسان بمجموعة من الأصدقاء يأخذون به نحو اتجاهات بعيدة مجانبة للصواب، فيستسلم لهم لأنه لا يستطيع مجاراتهم؛ فلا يتمكن من ضبط الإيقاع؛ فيندمج معهم يتابعهم، ويشارك ما ينشرون، ويتفاعل معه، وشيئاً فشيئاً ينغمس في هذا الجو الملوث مع أصدقائه في وسائل التواصل فقط! فيلحقه ضرر بسبب اقترابه من أهل الشر.

شمولية مفهوم الخير وتطبيقاته المعاصرة

من الواضح أن هذه الوصية العلوية المباركة تبيّن أن الإنسان قادر على تحديد مساره في الحياة؛ لأنه غير مجبور على ذلك، فمتى ما رأى نفسه مبتعداً عن المسار الصحيح، لا بد له من تعديل مساره؛ فيقترن بأهل الخير ويعاشرهم حتى ينتفع باقترابه منهم؛ ما يضمن له الاستقامة والسلامة.

إن ضرورة اقتران الإنسان بأهل الخير شاملة لجميع حالات الصلاح ومجالاته، من العلم والعمل الصالحين، والصفات الحسنة، والمعروف بمصاديقه الواسعة الكثيرة المتكثرة؛ فإن ثمة مصاديق للمعروف ما كانت سابقاً، قد دخلت في عنوان الخير،

كاستعمال وسائل التواصل في التبليغ، إذ يمكن لطالب العلم أن يساعد في ترشيد المجتمع بنقل رواية عن أهل البيت (عليهم السلام)، أو بالحث على خُلُق حسن، أو بالتذكير ببعض الأمور التي تكاد أن تندثر في المجتمع، وهي من صفات الخير؛ فتشيع بين الناس الصفات الحسنة.

بل يمكن للإخوة الطلبة القادمين من بلاد أخرى أن يزاولوا التبليغ في بلدانهم وهم بعيدون عنها؛ بأن يقوموا بتدريس العقائد والأحكام الشرعية وغيرها ممّا يحتاج الناس إليه عبر التواصل الافتراضي، فلا يطول انتظار الناس لوجود المبلّغين بينهم.

بيد أن هذا مشروط بكون المدرّس متقنًا لمواد الدروس، مجتازاً لاختباراتها، أو حاصلاً على شهادة الأساتذة أو إدارة المدرسة، حتى يتأكد من كفاءته في التدريس، ولا يكون متوهماً في نفسه ما ليس فيها؛ لأنّ تعليم الناس مسؤولية، والناس كما يحتاجون إلى تعليم العقائد الصحيحة والأحكام الشرعية وروايات أخلاق أهل البيت (السلام عليهم)، كذلك يحتاجون إلى تعليمهم قراءة القرآن حتى يتعلّم المكلّف ما يقرأه في الصلاة أو غيرها بشكل صحيح، وكذلك يحتاجون إلى تعلّم قراءة نهج البلاغة، وقراءة الصحيفة السجادية حتى ينتفعوا من مضامين فكر أهل البيت (عليهم السلام) وطريقتهم في حفظ المجتمع من مزالق الدنيا، وطريقتهم في الدعاء.

فيختار المبلّغ طريقة مناسبة لإيصال المعلومة إلى شرائح المجتمع المختلفة، فقد يقرأ مقطعًا معينًا من النهج أو من الصحيفة ثم يشرحه للناس، وقد يشرع بقراءة الكتاب من أوله، فيشرحه ويوضحه إلى آخره.

وهناك مجالات أخرى هي من مصاديق وحالات الخير التي لم تكن ثمّ حدثت، فيمكن للمؤمنين أن ينتفعوا منها في خدمة المجتمع، وهي استجابة عملية لما أوصى به أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما قال: ((قارن أهل الخير تكن منهم))، فالمبلّغ إذا تعلّم في الحوزة العلمية، ثم سعى لتعليم الناس في بلده أو أصدقائه أينما كانوا، يصير الجميع بهذه المقارنة من أهل الخير؛ فينعكس أثرها على سلوكيات الفرد وعلى حالة المجتمع أيضاً.

تأثير البيئة والمحيط على الإنسان

إذن هناك مسؤولية على الإنسان أن يسعى نحو الأفضل؛ حتى يقارن أهل الخير فعلاً، وإلّا فقد يتورّط بمقارنة أهل الشر من حيث يقصد أو لا يقصد؛ كالذي ينشأ في محيط بيئة صالحة، لكنه سرعان ما يكتسب صفات سيئة من زملاء العمل أو المدرسة أو الجامعة، فيكون مقارناً لأهل الشر، وليس مباينا لهم، وهو عكس المطلوب منه في هذه الثنائية العلوية التي أوصته بمصاحبة أهل الخير ومباينة أهل الشر؛ فأهل الخير أناس إيجابيون ينتفع بالاقتران بأجوائهم، وأهل الشر سلبيون يلزمه الحذر من أجوائهم، فلو اقترب الإنسان من أهل الخير لساعد الآخرين على حُسن ظن به، لكنه إذا اقترب من أهل الشر فلا يتوقع من أحدٍ أن يُحسن الظن به؛ لأنه أساء إلى نفسه بنفسه عندما اندمج مع أهل الشر؛ فارتضى أن يصحب مثلاً: كسولاً في طلب العلم، أو فضولياً، أو مَنْ يُكثر من الكلام، أو من الأكل، أو من النوم، وأشباه هذه الصفات السلبية، فمن المتوقع قوة تأثره بهذه الصحبة وتركه لما تربّى عليه في أجواء الأسرة.

كما أنه سيتأثر أيضاً بصحبة السوء إذا كان من الأول فاقداً للموجّه، أو كان يعاني من الخلافات داخل الأسرة؛ لذا لا بُدّ للإنسان من الحذر عند اختيار الاصدقاء؛ لأن الاقتران معهم ينعكس على شخصيته وتصرفاته.
مثلاً: بعض الطلبة بسبب ما رآه من زميله من إثارة الإشكالات العلمية توهم بأنها حالة ايجابية حتى يبين للناس مقدار علمه، فدخل في هذا الجو وهو لا يعلم بنتائج هذا التأثر، لأن كثرة إثارة الإشكالات – وليست الأسئلة لغرض التعلّم- ربما تُربي عند الإنسان اللجاجة أو العُجب بالنفس أو حبّ الغلبة على الآخرين أو غيرها من الآثار التي إذا ترسخت عند أحدٍ يصعب عليه التخلّص منها.

مواجهة الإحباط بالثبات على المبدأ وعدم الانحراف

أحيانا يحاول الإنسان التخلّص من تبعات مصاحبة أهل الشر لكنه لا يقدر فيُصاب بالإحباط، ثم يلجأ - وللأسف - إلى أمور تضرّه ظناً منه أنها العلاج لمشكلته، وهو غافل عن تبعات ما يقوم به بسبب مصاحبته لأهل الشر، فيكون قد اقترب من الشيطان وابتعد عن الله سبحانه وتعالى، بينما كان عليه أن يستعيد ثقته بنفسه ويشجعها على التمسك بالمبدأ، والتسبّب بالأسباب الصحيحة لمعالجة الموقف والخروج من تبعاته بأقل ما يمكن من خسائر، طبعاً كل هذه الأسباب لن تنتج حلولاً ما لم يتوكل على الله؛ لأنّ مَنْ توكل على الله كفاه ما أهمّه، وهداه إلى الصواب، وبعد التوكل يستشفع بالمعصومين (عليهم السلام)؛ لما لهم من الشفاعة المقبولة عند الله تعالى؛ لأنهم لا يشفعون إلّا لمَنْ ارتضى.
وإنّ في هذه الوصية المباركة قد أوضح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) معايير اختيار الأصدقاء، حتى لا يقترب الإنسان من أحدٍ قبل معرفة أنه فعلاً من أهل الخير، وإلّا كان مُطالباً بمباينته، أي الافتراق عنه وعدم الالتصاق به؛ لأنه سيُصاب بالعدوى منه فيجب الحذر من الاقتراب منه.

الأوبئة الفكرية ووجوب الحذر من مضارها

كما على الإنسان أن يحذر من الإصابة بالمرض إذا كان يعيش في بيئة موبوءة؛ حتى لا تحصل له مشاكل صحية قد تُفقده حياته أحياناً؛ كما حصل لكثير من الناس أيام وباء كورونا.
كذلك الحال في الأوبئة الفكرية يجب الحذر من مضارها؛ لأن الإنسان قد ينحرف من خلال علاقته بصديقه الذي لم يفتش عن أخلاقه ولم يعرف أفكاره، فيتأثر بذلك ويُصاب بسببه بمضار كثيرة، حتى إنه قد ينحرف عن عقائده الصحيحة والتزاماته الشرعية والأخلاقية بسبب صديقه هذا.
ثم يحاول التبرير لنفسه بأنني لم أعرف أن هذا الصديق من أهل الشر أو من أهل الخير، فكانت العلاقة عفوية بعيداً عن التعمق في النوايا.
ومن الواضح أنه تبرير لا يُعفيه من تبعات هذه العلاقة، فتتم مساءلته عن هذه العلاقة من دون أن يقبل منه تبريره بعدم معرفة النوايا.

لأن الله سبحانه وتعالى مكّن الإنسان من طاقات كثيرة: العقل، والفطرة، والقابلية على الإدراك والتمييز بين الأمور، والاهتداء لذلك من خلال تفعيل دور الاستشارة في حياة الإنسان، وعبر الاستفادة من تجارب المؤمنين والعقلاء المؤتمنين من الناس، وأشباه هذه المجسات التي يمكن للإنسان أن يعرف من خلالها بأن هذا من أهل الخير أو من أهل الشر. فإذا كان من أهل الخير اقترب منه، وإذا كان من أهل الشر ابتعد عنه. فإن اشتبه عليه الأمر يمكنه السؤال، وإذا لم يُمكِن السؤال، أو لم يحصل على جواب شاف، فعندئذٍ يحتاط الإنسان لنفسه ولا يتعجّل حتى يحفظ توازنه.

الأثر الوضعي وضرورة التوقّي منه

الإنسان الذي يندمج في الأجواء الملوثة ولا يتريّث، سيكون كالذي يمرّ بضائقة مالية، فيلجأ إلى الربا، أو يأخذ المال من أناس لا عن طيب نفس، فيُصاب بالأثر الوضعي لاستعمال الحرام أو لفعل الشبهات، وبالأخير لا يهنأ بما حصل عليه، أو يزداد وضعه ضيقاً، ولولا أنه استعجل الأمور لما وقع في المحذور، ثم لا ينفعه إرجاع المال بعد تجاوز هذه الضائقة، أو أنه سيستغفر بعد ذلك، وغيرها من أمور يؤملها وقد لا يحققها.
فكان من الحلول النافعة عملياً أن يقترن الإنسان بأهل الخير، فيختار الأشخاص الذين لهم نشاط علمي وتقوائي وسيرة محمودة حتى يستفيد منهم.
ومن مصاديق الاقتران بأهل الخير التي تنفع الطلبة، الحرصُ على المباحثة في الدروس، والحضورُ في المجالس العلمية التي عُرفت النجف الأشرف بها؛ كي ينتفع الطالب من مقارنة أهل الخير، ولا يكون اختياره لأصحابه من جهة أنهم من مدينته أو لأنهم زملاؤه أو أقرباؤه أو جيرانه أو غيرهم، وهذا غير صحيح؛ لأنه قد يقترن بأهل الشر بسبب أنه لم يُحسن الاختيار.

أهمية حُسن اختيار الصديق

لابد للإنسان أن يلتفت لمَنْ يختلط معه حتى لا تنتقل السلبيات، كما يتحفظ الإنسان عند مخالطة المريض حتى لا تنتقل العدوى منه، كذلك عليه أن يتحفظ من مصاحبة أهل الشر قبل انتقال العدوى منهم إليه، حتى أنه أحياناً يبتعد عن المريض ويمنع من الاقتراب مباشرة، وهذا الإجراء الوقائي دليل على أنه في بعض الحالات إذا اقترب الإنسان وحصلت له إصابة فلا يُعذر بأنه لم يقدر أن يبتعد عن صديقه أو زميله أو استاذه أو جاره أو غيرهم؛ لأنه كان واجبًا عليه حفظ نفسه وصحته، وكذلك حفظ النفس من أضرار مصاحبة أهل الشر واجب للتوقي من أضرارها.
ومن أضرارها أن الناس سيعرفون الشخص من خلال أصدقائه وزملائه وجلسائه، وهذا ما يحصل كثيراً عندما يسألون عن شخص فيكون الجواب بأنه صديق لإنسان جيد أو غير جيد، فإذا كان معاشراً لأهل الشر، فيؤخذ انطباع سيء عنه حتى لو كان هو شخص جيد.
لهذا عندما يكتشف الإنسان سوءَ طبع الصديق أو الزميل أو فيه صفة تثير السخرية أو التهمة، أو غير ذلك من سلبيات فعليه التخلص في أقرب فرصة.

نعم قد يواجه الإنسان مشكلة في التخلص من هذا الصديق لما في ذلك من الإحراج، أو أنه يخاف من ابتزازه إذا كان مطلعا على بعض خصوصياته وأسراره، والعلاج للمشكلة هو أن يتدارك الإنسان نفسه قبل أن يتورط أكثر بسبب طول مصاحبة أهل الشر؛ لأن الإمام (عليه السلام) عندما يقول: ((باين أهل الشر تبن عنهم))، يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يتوقع من الناس حُسن الظن به وهو على علاقته ببعض أهل الشر، فيجب الابتعاد ولو بالتدريج عما يثير سوء الظن به.

أهمية الحرص على الوقت في انجاز العمل

لا بُدّ للجميع وبخاصة طلبة العلم أن يلتفتوا إلى أهمية الوقت، فلو أخطأ أحدٌ في تقدير الأمور فعليه البدء بخطوات التصحيح والتعديل، قبل استفحال الخلل وضياع الفرصة، فالطالب الذي أراد الدراسة في جوار أمير المؤمنين (عليه السلام) والانتهال من علومه في هذه الحوزة العلمية في النجف الأشرف يحتاج أن ينتفع من الوقت جيداً، فالساعات بل حتى الدقائق محسوبة من عمر الإنسان فلا يصرفها فيما لا ينفع؛ فيندم على تأخره في معالجة الخطأ وانشغاله بصحبة أهل الشر، ولا ينفع الندم والتمني هنا لا ينفع ولا يعيد له ما مضى.
فتأتي الثنائية العلوية والوصية المباركة لتبين أن الحل بيد الإنسان، وكأن الإمام (عليه السلام) يقول له: إن الأمر بيدك، فيمكنك شيئاً فشيئاً الانسحاب عن هذا الوضع السيء، والانتقال إلى أهل الخير، وفي هذا فتحٌ لنافذة الأمل فيجب الانتفاع منها والعمل على التغيير والتطوير.

اختيار مصاحبة مَنْ يزين ولا يشين

إذا علم الطالب أن أحد دروسه غير نافع، فلا بُدّ من انتقاله إلى آخر نافع، ولا يتردد في اتخاذ هذا القرار بسبب أنه درس لابن مدينته أو لقرابته وأمثال ذلك، والحال أن الموضوع لا يقوم على العلاقات، بل هو قائم على أنه أساس ما أوصى به الإمام الحسن (عليه السلام): ((فاصحب مَنْ إذا صحبته زانك))[2]، أي تختار الذي تكون مصاحبته زِيناً لا شيناً، ومن أفضل الضمانات لحصول ذلك في الاستاذ والطالب أن يتصفا بالتقوى والاشتغال، على أنه قد تكون النسبة عند أحدهما بدرجة عالية، وعند الآخر بدرجة أدنى. فعند ذلك الإنسان يحاول أن يطور شيئاً فشيئاً من أدائه بالشكل الذي يمكنه.
أما أن يترك الأمر هكذا ثم يلوم الناس: لماذا أساؤوا الظن به؟ أو لماذا فاتته الفرصة؟ فهذا لا ينفعه أبداً، كالذي يقول إن فلاناً كان معي في الدرس أو في المدرسة وأمثال ذلك من تمنيات واستعراضات لأشياء ليس لها تأثير مباشر على حياته فعلاً، فيبقى على هذه الذكريات من دون أن يتقدّم؛ لأن التوفيق وعناية المعصومين (عليهم السلام) بمن يكون من أهل الخير فعلاً، وهو أمر مؤثر جداً ولا سيما في مجال طلب العلم،

[2] - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: 44/ 139.

فلا بُدّ من الاستشفاع بالمعصومين (عليهم السلام) إلى الله سبحانه وتعالى في التوفيق، وفي قضاء الحوائج، وفي حصول الاستقامة في الحياة.

تبعات مصاحبة أهل الشر

إن الانحراف في سلوك الإنسان لا يقتصر ضرره عليه فحسب بل يصل الضرر إلى الآخرين أيضاً، فقد يندمج مع أحد ثم يكتشف انحرافه فلا يتركه بحجة أنه لا يستطيع؛ فتترتب على استمرار العلاقة به مشكلات كثيرة، منها: شرعية من جهة أنه داعم للباطل ومروج له، ومنها: قانونية، فلربما يكون مطلوبا قضائيا بسبب علاقته بالمنحرف، ومنها اجتماعية؛ لأن الناس تيأس من خير المنحرف ومَن يرافقه أيضاً.

فالإمام (عليه السلام) كأنه يقول: لماذا تفوّت على نفسك فرصة مهمة لأن تمارس حياتك وتؤدي رسالتك في الحياة عبر ما أعطاك الله سبحانه وتعالى من طاقة العقل وقدرة البدن.

فالآن أنت تستطيع أن تدرس وتذهب وتعود بأمان، والأمور مُهيّأة فلا تضيّع الفرصة، حتى لو كان بعض الطلبة عنده مشكلة في فهم الكلام العربي لأن العربية ليست لغته الأم، أو باعتبار صعوبة بعض المواد، فيمكنه تجاوز هذه الأمور بتكرار قراءة الدرس وتمرين النفس، مع التوكل على الله سبحانه وتعالى والابتهال إليه ليُعينه، مع استشفاعه بالمعصومين (سلام الله عليهم) في ذلك، لأن للتوكل والابتهال والاستشفاع تأثيراً في وصول الإنسان لما يريد وهو من أهل الخير، وليس من أهل الشر.

كثرة الإنجازات لا تدل على الاستقامة

يحصل لبعض الناس أن يصل لما يريد لكن من دون استقامة على الصواب فيكون من أهل الشر؛ بسبب تصرفاته المحرّمة التي تجعله في دائرة أهل الشر؛ كالذي يبتعد عن ضوابط العقل أو الأخلاق ولا يقبل النصيحة بالامتناع، مثلاً: يغيّب عقله باستعمال الخمر أو المخدرات، أو يمارس غرائزه من دون قيود، فهؤلاء قد حكموا على أنفسهم أنهم من أهل الشر، حتى لو قيل عنهم في وسائل التواصل إنهم قد اخترعوا أشياء نافعة، أو وصلوا إلى ما لم يصل إليه المؤمنون.

وهذه الطريقة من التفكير والتعاطي مع الأمور تصوّر الأمر وكأن التدين والإيمان هما ما يؤخر الإنسان عن الاختراع والإنجاز، وهو غير صحيح؛ لأن للإنسان القدرة على الإبداع مهما كان.

لكن السؤال الأهم: هل كل مخترع ومبدع هو من أهل الخير فعلاً؟

الجواب: أنه إذا كان منفلتاً منحرفاً لا يبقى مع أهل الخير، وإن دافع عنه بعض الناس بأنه من أهل الخير بالنسبة لمجتمعه، فغير صحيح والمدافع لم يطّلع على تاريخ الشعوب، بل لا يعرف ما يجري في المجتمعات من انتهاكات للمنفلتين فيدخلوا بسببها مع أهل الشر.

فلا يصح أن يكون صاحب الاختراع من أهل الخير الذين تحسن مصاحبتهم لمجرد أنه مخترع، بل يجب التوقي من حالات انفلاته لأنها تؤثر على مَنْ يصاحبه ويعاشره فيكتسب منه حالة سلبية، فيتحوّل إلى أهل الشر.

وبالتالي فلا ضمانة لبقاء الإنسان مع أهل الخير إلّا الاستقامة على العقيدة الصحيحة، والتخلّق بأخلاق المعصومين (عليهم السلام)؛ لأن عقيدة الإنسان أخلاقه هما المحددان لتصرفاته، فيحافظ على موقعه مع أهل الخير.
فالذي يريد اتخاذ قدوة يجب التأكد من عدم تلوثه بما يجعله من أهل الشر، وقد ذكرت في كتاب التوحيد قراءة في نهج البلاغة، صفحة: (62)، هامش: (1) نماذج لأهل الشر مع ما لهم من جهود علمية، نقلاً عن كتاب الإلحاد مشكلة نفسية للدكتور عمرو شريف، صفحة: (119) وما بعدها.

الاطلاع على فكر الآخر مع الحذر من التلوث

على الإنسان أن لا يسير خلف شخص لمجرد أنه صاحب اختراع أو نظرية، بل يحتاج إلى التأكد من التزامه الأخلاقي؛ فلا مشكلة في الاطلاع على فكر الآخر، لكن المشكلة في التأثر السلبي بالفكر الذي لا علاقة له بالتقوى بما تمثله من انضباط الإنسان في سلوكه كما حدده الدين؛ لهذا لا أحد يستطيع المزايدة على أهل العلم الأتقياء؛ لأن التقوى تمنعهم من الانفلات الذي قد يمارسه غير المتقي.
وتأكيداً لما ذكرت نجد اهتمام بعض الأعلام بالفكر المقارن في الفقه أو الأصول أو الحديث أو الرجال أو نحو ذلك. حتى يطلع على المنتج الفكري للآخر أحياناً داخل الدين الواحد، وأحياناً خارج الدين الواحد.
مثلاً: المرحوم آية الله المحقق الشيخ محمد جواد البلاغي (رحمه الله)، وهو من الأساتذة المفسرين كالسيد الخوئي (رحمه الله) وغيره من الأعلام، كان مهتماً بالدفاع عن الإسلام فاطلع على فكر غير المسلمين حتى يناقشهم ويثبت لهم أحقيّة الإسلام، فما دامت الاستقامة وسلامة العقيدة مضمونة فلا مشكلة في الاطلاع على فكر الآخر مادام لا يدخل الاطلاع أو الإعجاب في دائرة الاقتراب من أهل الشر والابتعاد من أهل الخير.
وهذه من فوائد هذه الوصية العلوية المباركة؛ إذ تشير إلى إمكانية اطلاع الإنسان على ما يمكن أن ينتفع منه، فيقرأ للآخر أو يستمع له، ولا يصح أن يتركه بسبب أنه لا ينسجم معه أو لا يحبه، فالمحبة شيء والانتفاع من الفكر النافع شيء آخر لكن تجب المحافظة على ثوابت ما جاء عن الثقلين الكتاب والعترة؛ حتى لا يتأثر فكرياً بخلاف ما يجب عليه اتباعه.
فالمفروض أن يحافظ الإنسان على ميزان الإنصاف؛ كما دعا إليه الإمام (عليه السلام)، من أن المطلوب أن يُنصِف الإنسان نفسه أولاً، فلا يقترب من أهل الشر لأن هذا يؤثر عليه، ولا يفترق عن أهل الخير لأن هذا أيضاً يؤثر عليه. ومن أجلى المصاديق لأهل الخير هم محمد وآل محمد (عليهم السلام) وفقنا الله جميعاً إلى اتباعهم.